بلاغة التشبيه في الحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري

أ. د. فائز طه عمر
كلية التربية - جامعة تكريت
faizalumar@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حفل الحديث النبوي الشريف بضروب البلاغة في أجلى مستوياتها تعبيرا عن فصاحة منشئه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه و سلم الذي وصف نفسه صادقا بأنه (أفصح العرب)(١) ذلك أنه تربّى على بلاغة القرآن الكريم و فصاحته، بنهله من التأديب الرباني ما نهله (٢)، ثم أنه نشأ في مظان الفصاحة في قريش، وفي البادية، فتمكن من صياغة كلام مؤثر منسجم مع مهمته الكبيرة و الخطيرة التي أوكلها الله تعالى له، بالوحي، في دعوة الناس كافة الى توحيد الله و إرساء دعائم جيل جديد مؤمن قادر على صنع تغيير حاسم بقيادته الحكيمة المُؤيّدة بالوحي، فكان هو القدوة و المثل و هو المُبيّن لهم أُسس هذا الدين القويم، سلوكا و قولا بليغا، تسارع معانيه الى القلب قبل تلقّف الآذان كلماته المقنعة المؤثرة لقوة بلاغتها، و دقة استعمالاتها و جزالة تراكيبها، و تصويرها المعاني حيّة نابضة في قلوب المسلمين، تقرّب لهم دقائق هذا الدين القويم، على نحو فني عال، فقد امتزج في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الأداء الفني الكبير و المثير بالأداء الرسالي التفكري، فلا تفكّر من دون إثارة الفكر، و لا يُثار الفكر إلا بكلام ذي خصائص فنية، لم تكن هي المقصودة، على أنها أفادت المعاني و صوّرت الأفكار قريبة، مُجسّدة أو مُشخّصة، لتنفذ إلى القلب وتحقق غايتها الرسالية، و في القرآن الكريم ما دعا الرسول الكريم الى اتّباعه، ففي قوله تعالى: (فاقصص لعلّهم يتفكرون)(٣) دعوة الى إثارة الفكر بقصص ذي خصائص مؤثرة، لذا كان من الطبيعي أن يحتوي الحديث الشريف على فنون البلاغة التي ألفها العرب و شاعت بينهم، على نحو عفوي، من دون تكلّف

و لا تعمّل، بل كانت تأتي، على لسان الرسول الشريف مطواعة، تصف الحال أو تقرر الأحكام أو تفسّر كلام الله تعالى، فهي أدوات تعبيرية كانت تلقائية في خروجها و تحقيق مبتغاها(٤)، و من تلك الفنون البلاغية التشبيه الذي كثُر في كلام العرب، و جاء في الحديث النبوي غزيرا متعدد الانواع مختلف المستويات يستجيب لمقامات السامعين و المُخاطبين محققا أغراضه في نفوسهم حتى عُدّ من مظانّ البلاغة العربية في أجلى مظاهرها.

إن هذا البحث سيُعنى بما حفلت به التشبيهات النبوية الواردة في صحيح البخاري من فنون بلاغية أخرى غير التشبيه، ذلك أن الرسول الكريم كان يستعمل في تشبيهاته فنونا بلاغية متنوعة تعضّد تشبيهاته و ترشّحها و توشّحها لتكون أكثر تأثيرا، و لعل دافعنا الى هذا هو طرافة هذه الفنون في سياقها التشبيهي، و كثرة ما كُتب عن التشبيهات النبوية من بحوث و دراسات (٥)، و سوف نعمد الى انتقاء نماذج من هذه الفنون تعزيزا لما نقوله من أن بلاغة التشبيه أمر حاصل فيه و في ما تضمنته جملُه من فنون غزيرة لا يمكننا الإلمام بها جميعا، غير غافلين عن ذكر انواع التشبيه في مواضعها.

يتناول البحث هذا، البنية الصوتية للجملة أو العبارة التشبيهية، ثم البنية التركيبية التي نُعنى فيها بقسمي الكلام الخبري و الانشائي الطلبي و ما أحدث فيهما الرسول صلى الله عليه و سلم من تغيير اقتضاه المقام و القصد، وما أدّته من معان و أغراض، و سنحاول القاء بعض الضوء على ما أحدثه الرسول الكريم من تشبيهات ذات طابع سردي، تجلُت، خاصة، في التشبيه التمثيلي، ثم نحاول تتبع ما جاء في هذه التشبيهات من مجاز و استعارة و كناية، مما يندرج تحت عنوان البنية البيانية، غير غافلين عن المقاصد التربوية و التشريعية لتشبيهاته التي حققت أغراضها في بناء نفوس مُفعمة بالإيمان.

البنية الصوتية للتشبيه النبوي:

إن العناصر الصوتية التي وظّفها الرسول الكريم، في تشبيهاته على نحو تلقائي، حققت قدرا من الإيقاع الذي يعدّ (خاصّية أساسية مُشتركة في كلّ الفنون)(٦)، وهو يتحقق بوحدة النغمة(٧) التي تستغرق العبارة أو النص، مُحقّقة غرضين في آن واحد هما تأكيد المعنى، و إبراز المشاعر (٨)، فضلا عن تعميق دلالة الكلام، و لعل شفاهيّة الحديث النبوي

هي التي دعت المتكلم عليه الصلاة و السلام الى أن يُعنى بتحقيق هذا الإيقاع، ليكون ذلك وسيلة من وسائله في تثبيت الأفكار و التشريعات و أحكام الدين الجديد في عقول المسلمين الذين يسمعونه بكلّ لهفة و شوق، و نفوسهم متعطشّة إلى المزيد.

إن الإيقاع هذا قد ارتكز على ثلاثة عناصر فنيّة أساسية ، تحقق بها، هي التكرار، و الجناس، و السجع، سنعرض لظهورها في تشبيهات الرسول الكريم على نحو موجز.

التكرار

يكاد الإيقاع يرتكز على ترديد جرس صوتي مُعيّن، أو نغمة واحدة، تأتي بأشكال و صيغ مختلفة، لعلّ، من أبرزها، مصطلح التكرار الذي يُقصد منه (تناوب الألفاظ و إعادتها في سياق التعبير)(٩)، و هو يحقق وظيفتين، فبه يُوثّق المعنى و تُعمّق دلالتُه، و تتحقق، به، قيمة صوتية فنية تقرّب هذا المعنى و تُجسّمه، في نفس السامع، ليكون أكثر قبولا (١٠).

و قد تنوّعت صور التكرار في الجمل التشبيهية النبوية، و كان، من أكثرها و أهمّها، تكرار اللفظ المفرد، ولعلّ، من أهمّ الألفاظ المُكرّرة في هذه الجمل، أداة التشبيه (مثل) التي أُستعملت في الحديث التشبيهي الشريف، على نحو واضح، إمعانا في تقوية الشبه بين طرفي التشبيه و تعميقا له، فقد كُررت، أحيانا، ست مرات في أحد الأحاديث(١١)، و في حديث آخر جاءت خمس مرات(١٢)، و أحيانا أربع مرات (١٣) ، وثلاثا(١٤) ومرتين (١٥)، فمن ذلك قوله مُكرّرا (مثل) ثلاث مرات:(إنما مثلي و مثل الناس كمثل رجل أتى قوما، فقال: يا قوم اني رأيت الجيش بعيني، و إنّي أنا النذير العُريان..)(١٦)، وقوله، أيضا، مُكرّرا الكلمة نفسها مرتين: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعلّقة ، إن عاهد عليها أمسكها، و إن أطلقها ذهبت.)(١٧)، و قد رافق تكرار الكلمة المفردة (مثل) تكرار صيغة الشرط (إن عاهد.. و إن أطلقها...) مرّتين، مما يُشير إلى وجود عنصر إيقاعي آخر يستند الى تكرار الصيغ أو الجمل المتناظرة، مما سنتناوله.

و لم تكن كلمة مثل وحدها التي كُررت، في تشبيهات الرسول الكريم، بل رافق تكرارها، إحيانا، تكرار كلمات أُخرى، فقد كُررت كلمة (لبنة) ثلاث مرات، مع مثل التي كُررت

ثلاثا أيضا، في قوله:(إن مثلي و مثل الأنبياء، من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه و أجمله، إلا موضع لبنة، من زاوية، فجعل الناسُ بطوفون به و يُعجبون له و يقولون: هلّا وُضعت هذه اللبنةُ، قال: فأنا اللبنة، و أنا خاتم النبيين.)(١٨)، فالرسول الكريم أراد تقريب حقيقة كونه آخر النبيين الى عقول المسلمين، و إقناعهم بها، فشبه نفسه بهذا اللبنة التي تسدّ ثغرة مهمة و حاسمة، تركها الأنبياء من قبله، مستعملا صيغة التشبيه البليغ في خبر ابتدائي (أنا اللبنة)، لتنفذ الفكرة الى قلوبهم حقيقة لا لبس فيها و لا تحتاج لدليل أو توكيد.

و يكرر الرسول الكريم كلمتين على نحو متتابع، في سياق حديث تشبيهي واحد، نحو تكراره كلمة (المؤمن)، ثم كلمة (بعض)، في قوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضُه بعضا.)(١٩)، و قد تأتي الكلمتان المكررتان مفترقتين، نحو قوله:(العائد في هبته كالعائد في قيئه.)(٢٠)، و كرر كلمة (رأس) أيضا ثلاث مرات، ومعها (حمار) و (صورة) و لفظة الجلالة، مرتين مرتين، في قوله:(أما يخشى أحدكم.. إذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار.)(٢١) وقد كرر كلمات أخرى كثيرة، منها أسماء، كما رأينا، و بعضها أفعال أيضا(٢٢)، تنغيما و إيقاعا و توكيدا.

و كرر الرسول الكريم، في تشبيهاته، أيضا، المضاف و المضاف، نحو تكراره (شوك السعدان) ثلاث مرات (٢٣).

و من أنماط التكرار التي كثُرت في التشبيهات النبوية تكرار الصيغة التركيبية، أو النحوية، مما يجعل مساحة الإيقاع أكثر سعة و تناسقا، و قد كانت صيغة الشرط هي الصيغة الأكثر تكرارا في تلك التشبيهات، من ذلك قوله عليه الصلاة و السلام:(زوجي إن أكل لفّ، و إن شرب اشتف، و إن اضطجع اكتفّ..)(٢٤)، فضلا عن تكراره من الشرطية، في مواضع أخرى(٢٥).

الجناس

مهما اختلفت تعريفات البلاغيين و الأدباء للجناس، أو للتجنيس(٢٦)، لا يخرج عن أنه اتفاق كلمتين في الحروف و عددها و ترتيبها و هيأتها، عدا الحرف الأخير، مع اختلافهما في المعنى، و له أنواع كثيرة، أبرزها الجناس التام الذي يكون التوافق فيه تاما في ما

ذكرناه و الناقص و له أنواع كثيرة، بحسب مقدار الاختلاف بين الكلمتين في الأمور التي ذكرناها، فضلا عن وجود ما يُعرف بالجناس الاشتقاقي الذي يقوم على اتفاق كلمتين أو كلمات في جذر لغوي واحد، من دون مراعاة ترتيب الحروف (٢٧)، و على هذا فالجناس، عامة، (ضرب من ضروب التكرار... يُراد (منه) تقوية نغمية لجرس الألفاظ.)(٢٨) مما يجعله مظهرا حيويا أو عنصرا فاعلا، من عناصر الإيقاع الذي يستند الى حقيقة التكرار، مما ذكرناه.

ولعل الجناس الأكثر استعمالا في التشبيهات النبوية هو الجناس الاشتقاقي، حتى ليبدو أنه النوع المُهيمن الذي ظهر في الجمل التشبيهية في الحديث النبوي، لتعبيره عن الطبع، وعدم حاجة منشئه الى أي تكلف، و لتداعيه مع قصد المتكلم و رغبته في قول شيئ يعبر عن مشاعره.

و قد تعددت صور الاشتقاق المتجانسة، في التشبيهات النبوية، تبعا لتداعي الكلام المنسجم مع القصد و المقام، فتأتي الكلمتان، أو الكلمات المتجانسة، ا سمين ، إحداهما مفردة، و الأخرى جمع مؤنث سالم، نحو قوله صلى الله عليه و سلم:(الظلم ظلمات يوم القيامة.)(٢٩)

أي أن الظلم في الدنيا كالظلمات في يوم القيامة، في علاقة تربط الكلمتين هي علاقة السبب بالنتيجة، فالظلم سبب الظلمات التي يجدها الظالم يوم القيامة.

و ترد الكلمات المتجانسة أفعالا، نحو قوله:(لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلا انماع كما ينماع الملح في الماء.)(٣٠)، فانماع فعل ماض، و ينماع فعل مضارع، و هما يرجعان الى جذر لغوي واحد.

و تأتي الكلمتان، إحداهما اسم، و الأخرى فعل أُشتقّ الاسم منه، بقوله:(ما من مولود إلا و يولد على الفطرة، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تُحسّون بها من جدعاء.)(٣١)، وقد توشّح الجناس بتكرار كلمة بهيمة، و السجع في جمعاء و جدعاء، مما يقوي الإيقاع، و يعمّق الدلالة.

السجع

و هو أحد أهم عناصر الإيقاع التي وُظفت في التشبيه النبوي، على نحو تلقائي و عفوي، فهو من أساليب العرب، و يعني (تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد.)(٣٢)، استعمله الرسول الكريم على نحو بعيد عن التكلف، و لا سيما انه اظهر كراهته لما ظهر من بعضهم من تكلف للسجع الذي يعبر عن المنحى الجاهلي (٣٣)، و تعددت أنواع السجع الذي ورد في التشبيهات النبوية مما تتبعه بعض الدارسين(٣٤)، و لا نريد إعادة القول فيه، و نكتفي بإيراد شواهد تؤيد وجوده، عنصرا صوتيا إيقاعيا في التشبيه النبوي، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:(الأنصار شعار و الناس دثار.)(٣٥) ففي هذا التشبيه البليغ اتحدت كلمتا شعار و دثار في الحرفين الأخيرين منهما، و قد يُوشّح السجع بتكرار الفعلي(وصل و قطع) مع ما يحققانه من تضاد يُعمّق المعنى، و صيغة الشرط، فيصبح التشبيه أقوى إيقاعا و أكثر جرسا و أعمق دلالة ، في قول الرسول الكريم:(الرحم شجنة، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته.)(٣٦)

و قد يأتي، في التشبيه الواحد، أكثر من كلمة مسجوعة، مما رأيناه في كلمات:لفّ، واشتفّ، و اكتفّ، و البثّ، في حديث اوردناه سابقا(٣٧)، كلّ هذا السجع و غيره جاء عفويّا غير مُتكلّف، مما ينسجم مع طبيعة الكلام النبوي، كما قلنا في أول البحث هذا.

البنية التركيبية

إن العناية بدراسة الجمل و التراكيب تؤدي الى معرفة طبيعة الأسلوب المُتّبع في أداء المعاني و إيجاد الدلالات، فالنص هو حصيلة انصهار العناصر اللغوية فيه(٣٨)، و الكلام هو (مجموعة من الجمل لها وحداتها المُميّزة، و لها قواعدها و نحوها، و دلالتها.)(٣٩)، لذا فلهذه الدراسة أهمية كبيرة، فبالتراكيب و الجمل يحقق المتكلم، عامة، طريقته الخاصة التي تتكيّف بحسب الدلالة المقصودة و مقتضيات الأحوال الأخرى، فترى التراكيب يتغير بناؤها و تحدث فيها تغييرات مقصودة، حتى تأخذ الكلمات فيها مواقع جديدة مُستمدّة من علاقاتها بما يجاورها من كلمات، فيتحقق نصّ دالّ معبّر عن القصد و الغاية منه، على نحو جلي، فحركة الفكر تتجلّى في تغيّر الكلام تبعا لقصد المتكلم و ما يحيط به من ظروف و أحوال.

و الكلام العربي مقسوم، بطبيعته، على خبر و انشاء، فلابد للجملة من أن تنتمي الى احدهما، لذا كان من المُتوقّع أن يأتي التشبيه النبوي بتركيب خبري أو إنشائي، سنحاول القاء بعض الضوء عليه، على نحو مناسب مع وجازة هذا البحث.

و كان وضع الرسول الكريم تشبيهاته في إطار خبري أو إنشائي أمرا اقتضاه مقام القول و قصد المُتكلم من تشبيهه، على أن الخبر كان هو الأكثر استعمالا، في الجمل النبوية التشبيهية(٤٠)، ولعلّ مردّ ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم كان يرمي من كلامه الشريف إلى إبلاغ الرسالة العظيمة التي كُلّف بها، و الإبلاغ، في الأصل، إخبار غايته بيان تفصيلات هذه الرسالة و أحكامها، على نحو مُنسجم مع أقدار المُخاطبين و مقاماتهم، مّما يؤدّيه الخبر، في الأكثر، فهو (يتصوّر بالصور الكثيرة، و تقع، فيه، الصناعات العجيبة.)(٤١)، فهو يساعد على تثبيت المعاني في النفوس، و تقريب الأحكام و تيسيرها للعقول.

و الرسول الكريم لم يُرد، من الخبر، الإبلاغ المحض، حسب، من دون بعث معان، و استثارة مشاعر و الإيحاء بمواقف، لذا فقد خرج الخبر في التشبيه النبوي، بمراتبه الثلاث المعروفة ؛الإبتدائي، والطلبي، الإنكاري، الى أداء معان و تحقيق دلالات أخرى، نحاول ذكر بعضها، إنطلاقا من مناسبة الحديث الشريف و ما يدلُّ عليه من قرائن، فمنها، المدح، فقد مدح الرسول الكريم النخلة فشبهها بالمسلم، في خيره و صفاته الحميدة، بقوله:(من الشجر شجرة كالرجل المسلم.. هي النخلة.)(٤٢)، و تحدث عن يثرب، مدينته المنورة به، فعدّها طاردة لكلّ خبث و نفاق، حتى كأنه عليه الصلاة والسلام يرمي الى بعث الرعب في قلوب المنافقين رهبة منها، و هو بذلك يثني عليها أيضا، بقوله:(.. يثرب، وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكيرُ خبث الحديد.)(٤٣)، و يوبّخ الرسول الكريم من يتصدّق ثم يعود عن صدقته، مُشبّها إياه بمن يتقيئ، فيُعيد هذا القيء الى ذات بطنه، في صورة مُقززة مُنفّرة عن الإتيان بمثل هذا العمل الذي يتناقض مع قيم الإسلام و أحكامه العظيمة، فهذا التشبيه، مع توبيخه من يفعل ذلك، ينبّه الآخرين على خطورة فعل هذا العمل المُشين، بقوله:(إن العائد في صدقته كالعائد في قيئه.)(٤٤)

و يُنكر الرسول الكريم على من يحاولون التملّص من واجباتهم الدينية و فرائضهم، فمهما خرجوا عما يُمليه عليهم الدين فهم مكشوفون، و أعمالهم مُنكرة، بقوله:(يمرقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرمية.)(٤٥)، وغير ذلك من معان و أغراض عديدة.

و قد تتوالى الأخبار، في بعض الأحاديث الشريفة التي تتضمّن تشبيها، فيأخذ مثل هذا الحديث شكلا سرديّا حكائيا، قوامه التشبيه التمثيلي الذي تُحدثُه هذه الأخبار المتضمنة طرفي التشبيه المركبين المرتبطين بوجه شبه مركب، و الخبر، عامة، هو أحد مظان السرد عند العرب،

يُمثّل نواة حكاية أو قصّة (٤٦)، مما عمد عليه الرسول الكريم في عدد من تشبيهاته، لتشخيص الفكرة أو تجسيمها، و لتقريبها حيّة مُتحرّكة إلى نفوس سامعيه، على نحو مؤثر و فاعل، من ذلك تشبيهه حاله مع الناس كافة، في إبلاغه الرسالة السماوية اليهم، بما فيها من إنذار لهم، بشخصية عُرفية تعبر عن عرف عربي يفعله من يريد انذار قومه عندما يدهمهم عدوّ، وهم غافلون عنه، فيعمد الى خلع ملابسه حتى يعرى، فيلوح لقومه بها منذرا (٤٧)، مما جاء في قوله الشريف:(إنما مثلي و مثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوما، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، و إني أنا النذير العُريان، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، و كذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش، فأهلكهم و اجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، فاتّبع ما جئتُ به، و مثل من عصاني، وكذّب بما جئت به من الحق.)(٤٨)، ففي هذا التشبيه البديع، وصف لحال الناس في مواقفهم المختلفة من الرسالة السماوية، و بشارة لمن آمن و تدارك الخطر، و إنذار لمن غفل و ركب رأسه فتلقّى عاقبة عمله، في سياق سرد اوّليّ مُتحرك، تضمّن حوارا و وصفا، مما ظهر في أحاديث أخرى(٤٩)، جاءت التشبيهات فيها على هذا النحو الذي يُوحي بمعان و دلالات كثيرة و يُؤثر في المتلقي على نحو يجعل ما في الحديث جزءا من فكرة يتبناها(٥٠)، مما يُشير إلى براعة الرسول الكريم في توظيف الأنماط السردية لتحقيق غايات و أغراض تصبّ في خدمة الاسلام العظيم.

و استعمل الرسول الكريم الجمل الانشائية الطلبية في أداء معان لم يلبّها الخبر، فكان تعبيره عن أفكاره و معانيه بالجملة الطلبية استجابة لما يتطلّبه المقام، و رغبة منه في نقل

مشاعره الى المخاطب ليشاركه بها، و يتفاعل معه في أثناء قولها، و قد استعمل الرسول هذه التراكيب للتعبير عن معان حقيقية، على أنه كثيرا ما خرج بها إلى معان مجازية، نحاول الاشارة الى بعضها.

فقد قال الرسول الكريم آمرا، في ظاهر قوله:(صم أفضل الصوم صوم داود.)(٥١)،

بيد أنه ينصح المخاطب و لا يلومه، بل يرشده إلى أن يصوم مثل صوم النبي داود عليه السلام، الذي عدّه أفضل صوم، فقد كان النبي داود عليه السلام يصوم يوما و يفطر يوما، كما قال الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام. (٥٢)

و يدعو الرسول الكريم ربّه متوسّلا إليه بصيغة الأمر، في قوله:(و اجعلها عليهم سنين كسني يوسف.)(٥٣)، و وظّف فعل الأمر موبّخا به من يُخاطبهنّ، مُفيدا من قصة يوسف (ع)، مما لحظناه في المثال السابق ، أيضا، بقوله:(مه، إنّكنّ لأنتُنّ صواحبُ يوسف.)(٥٤)، و استعمل الرسول الكريم، في بعض جمله التشبيهية، الأمر مقترنا بالنهي، مؤكدا بهما معنى التحذير، بقوله:(اجعلوا في بيوتكم من صلاتهم، ولا تتخذوها قبورا.)(٥٥)، أي لا تجعلوا بيوتكم كالقبور، بل ابعثوا فيها الحياة بصلاتكم فيها شيئا من صلاة التطوّع، خاصة، فمعنى التحذير تحقق بالنهي، على أن استعماله الأمر وشّح هذا التحذير بشيئ من الارشاد.

و وبّخ الرسول الكريم من يؤذي زوجه، بضربها كما يُضرب العبد عند النهار، و عندما يشتهيها يُجامعُها عند حلول الليل، مُستعملا، لذلك، النهي الذي تضمّن تشبيها أدى إلى تقريب دلالة الكلام، بقوله:(لا يجلد أحدُكم امرأته جلد العبد، ثمّ يُجامعُها في آخر اليوم.)(٥٦).

و استعمل الاستفهام، أيضا، في أداء معان مجازية عديدة، تُفسّر بمعرفة المقام، و بفهم مقتضى الحال، فقد يدخل الاستفهام على نفي، ليفيد التقرير و تثبيت المعنى، في قوله:(أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟)(٥٧)، ففي، هذا التشبيه المُؤدّى بالاستفهام، ترسيخ لقاعدة شرعية، تنص على وجوب الاستشهاد برجل و امرأتين عند الضرورة.

و أدّى، بالاستفهام، أيضا، معنى الترغيب في أداء الصلاة الخمس، أو التشويق إلى فعلها، في قوله:(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كلّ يوم خمسا، ما تقول في ذلك..

فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا.)(٥٨)، فقد أكّد الاستفهام الأول الذي كان بالهمزة باستفهام آخر استعمل، فيه، ما، وفيه خطاب لمخاطب يرغب الرسول الكريم في إشراكه الرغبة في الصلاة لما فيها من فائدة و عبرة.

و ورد النداء في سياق الجمل التشبيهية النبوية مُحققا أغراضا و معاني مجازيّة أخرجته عن معناه الحقيقي، منها الدعاء في قوله عليه الصلاة و السلام الذي أدّاه الأمر، أيضا، : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد و أزواجه و ذرّيته كما صلّيت على آل إبراهيم..)(٥٩)، و أفاد التنبيه(٦٠)، و معاني أخرى أيضا.

و وردت بعض صيغ الانشاء غير الطلبي، و لا سيما المدح بنعم، في قوله:(نعم الجهاد الحجّ)(٦١)، أي حبذا الحجّ الذي أشبه الجهاد، في سياق تشبيه معكوس، جُعل فيه المّشبّه الحج مّشبّها به، و بالعكس، مبالغة، وتعميقا للمعنى، وحثّا على خلوص الحجّ و صدق توجّه صاحبه لله تعالى، كما هو شأن المجاهد.

و وردت الصيغة نفسها مُكرّرة، في سياق تشبيه ضمني رائع، في قول الرسول الكريم: (إنكم ستحرصون على الإمارة، و ستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة.)(٦٢)، فضلا عما تحقق، في هذا الحديث، من مقابلة مبيّنة للمعنى، معمّقة له.

و قد آثرنا الإيجاز في عرض ما خرجت إليه تراكيب الخبر و الإنشاء من معان مجازية، فلم نذكر إلا القليل منها، مما يُغني.

ظواهر تركيبية

تتميّز اللغة العربيّة بمرونتها، و استجابتها لما يتطلّبه الموقف أو المقام، على نحو ينسجم مع قصد المُنشئ و قدراته التعبيرية عن المعاني و الأغراض، مما اتّصف به الرسول الكريم في كلامه الشريف، فقد تمكّن من تطويع جمله التشبيهية، موضوع بحثنا، بحسب قصده و ما يقتضيه الحال من شكل يستوعب المعاني المخزونة في نفسه الشريفة، لذا كان، من المُتوقّع، أن يُحدث الرسول الكريم تغييرات في بنية الجملة النحوية المثالية، فيُخرجُها عنها، على أنه لا يُخرجها عن الصواب النحوي الذي كان عنده سليقة و طبعا، ليستطيع الإحاطة

بالمعاني و المشاعر و الأفكار التي حرص على إيصالها إلى المؤمنين مُؤثرة، مُقنعة، موحية، فقد قدّم و أخّر، و حذف و ذكر، و قصر، ، و فصل و وصل، و عرّف و نكّر، لذلك، مما سنعرض لبعضه، هنا، على نحو يُظهر بلاغته صلى الله عليه و سلّم.

ففي حديثه الشريف:(فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم.)(٦٣) قدّم الفقر، الذي هو مفعول به، على عامله الفعل أخشى، إثارة لإنتباههم على ما سيقوله بعده، فمما يُثيرُهم عدم مخافة قائدهم و معلِّمهم مما يعانونه، لذا فهم توّاقون لمعرفة حقيقة الأمر، فإذا به يُخبرهم عمّا سيؤولون إليه من غنى و سعة في العيش، فهو عارف، بقدرة الله بما سيحدث لهم، عليه حذّرهم من بطر قد يصيبهم أو فساد يؤول إليه إمرُهم، لغنى سيعيشون في ظله، بعد الفتوح و كثرة الغنائم.

و يُدرك الرسول الكريم أنّ البكر عندما تّسألُ في خطبتها لا تستطيع جوابا، لخجلها من الإفصاح، لذا فقد جعل رضاها بصمتها، فصمتُ البكر يدلّ على رضاها فقط، مما جاء في الحديث الشريف الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن الرسول الكريم، بقوله:(رضاها صمتها.)(٦٤)، مما أدّاه تقديم الخبر الذي هو المشبه به (صمتها) على المبتدأ الذي هو المشبه (رضاها)، في سياق تشبيه مقلوب بليغ، مُثير.

و مع أن مواضع التقديم، في التشبيه النبوي، كثيرة آثرنا ذكر هذين المثالين، حسب.

و يميل الرسول الكريم إلى الإيجاز، بحسب المقام و القصد، معبّرا، بألفاظ قليلة ، عن معان كثيرة، فقد كان عليه الصلاة و السلام يحذف أداة التشبيه، مما رأيناه كثيرا فيما أتينا به من أمثلة، و في قوله أيضا:(إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر.)(٦٥)، فقد حذف كاف التشبيه أو ما يرادفها، ليكون تقدير الكلام كمواقع القطر، و لعله أراد بهذا الدلالة على قرب وقوع الفتن و قرب أماكن حدوثها و قرب مصادرها.

و حذف، أيضا، كلمات، يُدرك حذفُها من السياق، نحو حذفه المفعول به (خيرا) من قوله:(أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي و عيبتي.)(٦٦)، فالتقدير أوصيكم خيرا.

و من حذفه المفردات حذفُه الصفة، في قوله:(ناس من أمّتي عُرضوا عليّ غزاة..)(٦٧)، فقد حذف صفة كلمة (ناس) التي تًقدّر بـ(مؤمنون)، او (مجاهدون) بدلالة غزاة، و انسجاما مع السياق. و حذف أشياء أخرى كثيرة، مثل المضاف اليه(٦٨)، و القسم (٦٩)، وغيرهما.

و قصر الرسول الكريم عددا من المعاني على مقصور له معين، أي خصصها له، إيجازا و توكيدا و مبالغة، بوسائل كثيرة، منها ضمير الفصل في قوله:(.. إني أنا النذير العُريان.)(٧٠)، و قصر أيضا بالنفي و الاستثناء، نحو قوله:(ما من مسلم يُصيبه أذى إلا حاتّ الله عنه خطاياه كما تُحاتّ ورق الشجر.)(٧١).

و أكثر من القصر بإنما، مما رأيناه في شواهد كثيرة في هذا البحث، و في نحو قوله:(إنما مثلي و مثل الناس كمثل رجل استوقد نارا..)(٧٢)، تخصيصا، و توكيدا و مبالغة.

و ظهرت، في الحديث التشبيهي الشريف، ظواهر تركيبية أخرى، لا نذكرها، لوجازة البحث، و لاستغناء البحث بما ذكرناه عما تركناه.

البنية البيانية

تمكّن الرسول الكريم، في أحاديثه التشبيهية، من التعبير عن المعاني التي قصدها، بأكثرمن وسيلة و طريقة تختلف بحسب قرب هذه الوسيلة من قصده أو مدى وضوحها، مما يتحقق في فنون البيان الذي عُرف، لدى البلاغيين، بأنه (علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.)(٧٣)، وهذه الطرق المُفضية إلى تحقيق دلالة مقصودة تستند إلى خيال المُنشئ، و مايريد قوله من قصد، و إلى قدرة تعبيريّة تتحقق بخزين لغوي، و مرونة على استعماله و توظيفه في سياقات فنية موحية، رأينا بعضها في البنية التركيبية، لذا تعددت هذه الوسائل في التشبيهات النبوية التي هي إحدى وسائل التعبير عن الدلالة في النص، عامة، على أن هذا البحث يرمي إلى إظهار ما في هذه التشبيهات من وسائل بيانية دلالية أخرى، تمثّلت بالمجاز بأنواعه، و الكناية، و التضاد، و هي فنون زادت من قوة هذه التشبيهات و جعلتها أكثر إثارة للمتلقي، و أعمق تناولا للمعاني و الأفكار و المشاعر.

و قد ظهرت، في التشبيهات النبوية، استعمالات مجازية قليلة للمجاز الذي عده عبد القاهر (أبدا أبلغ من الحقيقة.)(٧٤)، و لعل مرد ذلك رغبة الرسول الكريم في ايضاح المعنى و كشفه بتصويره، و جعله أكثر أثرا من تقديمه على نحو مباشر، و مما ورد من مجاز الاستعارة قوله صلى الله عليه و سلم:(الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم.)(٧٥)، فالنار جزاء من يشرب في إناء الفضة، بطرا و كبرا، يحصد نتيجة فعله، حتى كأنه ينوء بحمل ثقيل، يُجره بثقل و مشقّة ، على أنه ذكر النار أي المشبه به، دون المشبّه الذي يمكن جرُّه، و قد أضفت الاستعارة على المعنى قوّة، و إثباتا له(٧٦). و قد جاءت الاستعارة بكثرة في التشبيهات النبوية، ولا سيما تلك القائمة على تشبيه المعنويات بالمحسوسات، نحو قوله:(إن الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم سوءا.)(٧٧)، فقد دلّ هذا الاستعمال على أن(السوء)، وهو أمر معنويٌّ، غدا حجارة تُقذف. مما يُقال عن (الأمانة) التي تُقبض(٧٨)، و(الكفر) الذي يُرمى أيضا (٧٩)، فضلا عن (الخطايا) التي تُغسل بالماء و الثلج و البرد (٨٠)، و هي كلها استعارات بالغت في تصوير المعاني مؤثرة، و واضحة.

و جاءت لفظة(الدنيا) معبرة، على نحو كلي، عما سيحصل عليه المسلمون من أموال و أملاك، بعد الفتح و اتساع الدولة الاسلامية و كثرة الغنائم، أي أن ما يحصل عليه المسلم هو جزء أو أجزاء من الدنيا و ليس كلها، فقد ذُكر الكلُّ و قُصد الجزء، في سياق مجاز مرسل علاقته الكلية، في قوله عليه الصلاة و السلام: (.. و لكني أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها..)(٨١).

و ذكر الرسول الكريم أن الإيمان يلوذ بالمدينة، و هو يقصد المؤمنين، و لعل ما دفعهم الى اللجوء الى المدينة، على النحو الذي سنراه، هو رغبتهم في الحفاظ على إيمانهم و صونه، على أنه أسند الفعل إلى سبب وقوعه، و ليس لفاعله الحقيقي، محققا، بذلك، مجازا عقليا مستندا الى العلاقة السببية، في قوله: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى جُحرها.)(٨٢)، و اسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، و لا سيما إلى سببه، يستغرق أكثر المجازات العقلية الواردة في الأحاديث النبوية التشبيهية، (٨٣).

و عمد الرسول الكريم إلى تثبيت المعاني في أذهان المخاطبين، و إلى ذكر ما يبرهن عليها(٨٤)، في كنايات عديدة، وظّفها ، لجعل المعاني أقرب للأذهان، فقد صوّر شدّة الزحام على الحصول على الرحمة التي انزل الله منها جزءا من مئة جزء، في قوله:(جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة و تسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتزاحم الخلق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تُصيبه.)(٨٥)، فمعنى الزحام الشديد كُنّي عنه بقوله عليه الصلاة و السلام:حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تُصيبه.

و تنبّأ الرسول الكريم بأن المسلمين سيقاتلون أقواما يتسمون بطول الشعر الذي كنى عنه ب(نعالهم الشعر)، قبل قيام الساعة، و يبدو أن المقصود بهم هم الترك، الذين حسُن إسلام الكثير منهم بعد ذلك ، فالكناية هنا عن موصوف، في قوله الشريف، مخاطبا المسلمين:(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حُمر الوجوه، ذُلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المُطرقة..)(٨٦)، فنعالهم الشعر (المُراد به طول شعورهم، حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعام..)(٨٧). و وردت كنايات أخرى صورت صفات اتضحت بها، في الاحاديث النبوية التشبيهية.(٨٨).

و وُظّفت المقابلة، فضلا عن الطباق، في بيان المعاني و إيضاحها، فالشيئ يُعرف بضده، و لا سيما أن أكثر المقابلات الواردة في التشبيهات النبوية قامت على علاقة ضدية بين أطرافها، مما يزيد من بلاغتها و أثرها، كذلك هو الحال في الطباق الذي يقوم على التضاد.

و أتى الرسول الكريم بالمقابلة لتصوير حال المنافقين الذين يؤتون أعمالا تخالف دعاواهم و أقوالهم، فيبيّن بها حالهم في الآخرة، نحو قوله:(يُجاءُ بالرجل، يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق أقتابُه فيدور، كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهلُ النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف و تنهانا عن المُنكر ؟ فقال: كنت آمرُكم بالمعروف و لا آتيه، و أنهاكم عن المُنكر و آتيه.)(٨٩)، فقد شكّل جواب هذا المنافق و حاله مفارقة مُثيرة حتى لمن كان كافرا في الدنيا، و لهذا التشبيه البارع أغراض تعليمية و زجريّة لكلّ دعيّ،

فهو سيلقى مصيرا بائسا كمصير هذا الذي يدعو للمعروف و لا يأتيه، و ينهى عن المُنكر فيفعله، مما عرضه الرسول الكريم في سياق قصصي مصوّر للفكرة معمّق لها.

و كثيرا ما انعقدت المقابلة بين حال المؤمن، و حال الكافر أو الفاجر، فتأتي الصورتان مختلفتين متناقضتين، احداهما مُبشّرة، و الأخرى مُنفّرة، في قوله صلى الله عليه و سلّم:(ا ن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل، يخافُ أن تقع عليه، و إن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال هكذا – بيده فوق أُذنه.)(٩٠)، ففي هذا الحديث الشريف استعان الرسول الكريم بالإشارة بيده الشريفة التي وضعها فوق أنفه العزيز ليقرّب، للناس، الصورة التي أراد إيصالها إلى مستمعيه من المسلمين فينفروا من اقتراف الذنوب التي تجعل من أحدهم فاجرا لا تهمه كثرة ذنوبه، عكس المؤمن الذي يخشى الله تعالى فيجد ذنوبه كثيرة، على قلتها، و يخاف منها كما يخاف القاعد تحت الجبل من الجبل لئلا يقع عليه.

و بعد فإن هذا العرض لا يدّعي أنه أتى بجديد، على أنه ربما ألقى ضوءا على بلاغة يكتنزها التشبيه النبوي الموجود في الأحاديث الشريفة، على نحو يُظهر أن الرسول الكريم تمكن من إنتاج نصوص بليغة طريفة و جميلة و دالة، حقق بها وظيفة رساليّة و تربوية و إيمانية بما امتلك من قدرة و فصاحة و تمكّن.

هوامش البحث و مصادره

(١) الزمخشري، جارالله محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق، علي البجاوي و أبو الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ت ، ١/١١، و وردت (أعرب) بدل (أفصح)، السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الحلبوني، دمشق، د.ت، ١/٣١٢.

(٢) استنادا إلى الحديث الشريف (أدّبني ربّي فأحسن تأديبي.)، السيوطي، السابق، ١/٤٤، و يُنظر، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(٢٥٥هـ)، البيان و التبيين، تحقيق، عبد السلام محمد هارو ن، ط٥، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ٤/٢٩ – ٣٤.

(٣) الأعراف، ١٧٦.

(٤) الجاحظ، السابق، ٢/١٥– ٢٨، الرافعي، مصطفى صادق، تأريخ آداب اللغة العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ /١٩٧٤ م ، ٢/٢٧٩– ٢٨٧.

(٥) منها ، اليسد، د.عز الدين علي، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣ م، حسن، د.محمود السيد، روائع البيان في الأمثال النبوية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٨م ، أحمد، سعد عبد الرحيم، التشبيه في الحديث الشريف، دراسة في متن البخاري، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٨م، و غيرها مما سيرد في هذا البحث ، و ذكرت الباحثة أروى سعيد عبد الغني عددا مهما من الدراسات الخاصة ببلاغة الحديث الشريف، الكثير منها متعلق بالتشبيه، في رسالتها:الحديث النبوي الجاري مجرى المثل، دراسة أسلوبية في الصحيحين، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢ م، بإشرافنا، .

(٦) اسماعيل، د.عزالدين، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م، ٢٢١.

(٧) هلال، د.محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، ١٩٧٣ م، ٤٦٢.

(٨) الخطيب، د.عصام، و د.توفيق عزيز عبدالله (إعداد و ترجمة)، في نقد النثر و أساليب، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٢١٨)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ م ، ٩٣.

(٩) هلال، د.ماهر مهدي، جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م، ٢٣٩.

(١٠) السيد، د.عز الدين علي، التكرير بين المُثير و التأثير، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ٨٦.

(١١) البخاري، الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل(٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق، الشيخ قاسم الشمّاعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٨م، ٥/١٤٥.

(١٢) نفسه، ٨/٤٧٤.

(١٣) نفسه، ١/١٠٥.

(١٤) نفسه، ٥/٢٦، ٨/٤٦٠ ، ٤٧٤-٤٧٥.

(١٥) نفسه (طبعة عالم الكتب، بيروت، د.ت)، ٣/٣٧٨، ٤/١٢، ٨/٣٢٨، ١٠ / ٢١٦. تكرار مثل مرتين. و أُضطررنا لاستعمال طبعتين لصحيح البخاري لظروف خاصة.

(١٦) نفسه (طبعة دار القلم) ٨/٤٧٤.

(١٧) نفسه، ٦/٥٩٥.

(١٨) نفسه، ٥/٢٦.

(١٩) نفسه، ٣/٢٦٨.

(٢٠) نفسه (طبعة عالم الكتب)، ٣/٣٢٥.

(٢١) نفسه (طبعة دار القلم)، ٨/٥١٠.

(٢٢) نفسه (طبعة عالم الكتب)، ٨/٩

(٢٣) نفسه، ٩/ ٢٣٩.

(٢٤) نفسه، ٧/ ٤٧ – ٤٨. و يُنظر، نفسه، ٧/٤٧-٤٨.

(٢٥) نفسه(طبعة دار القلم)، ١ / ٩٠، ٨/ ٣٨٢.

(٢٦) مطلوب، د.أحمد، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م، ٢/٥١.

(٢٧) نفسه، ٢/ ٥١ – ١٠٩.

(٢٨) ماهر، السابق، ٢٧٠.

(٢٩) البخاري، (ط، دار القلم)، سابق، ٣/٢٩٦.

(٣٠) نفسه، ٣/ ٥٦.

(٣١) نفسه، ٨/ ١٠، و يُنظر، نفسه، ٢/ ٦٠٩، ٧/ ٧١٣.

(٣٢) القزويني، الخطيب (٧٣٩ هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠ م، ٢٩٦.

(٣٣) الجاحظ. سابق، ١/ ٢٨٧.

(٣٤) مرزوك، يونس عبد، التشبيهات النبوية في صحيح البخاري، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، (بإشرافنا)، ١٦٩-١٧١ .

(٣٥) البخاري (ط، عالم الكتب)، سابق، ٦/ ٣١٧.

(٣٦) نفسه، ٣/٨. الشجنة: الرحم، أي قرابة. يُنظر، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٧، ٢٠١١م ، ٢٨/٨.

(٣٧) نفسه، ٧ / ٤٧ – ٤٨.

(٣٨) الخطيب، سابق ، ٩٣.

(٣٩) عبد المطلب، د.محمد، البلاغة و الأُسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ١٠٠.

(٤٠) يونس، سابق، ١٤٦.

(٤١) الجرجاني، عبد القاهر(٤٧١أو ٤٧٤هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ٥٢٨.

(٤٢) البخاري، السابق، ٥/ ٢٩٢، و يُنظر، نفسه، ٣/ ٥٢.

(٤٣) نفسه، ٣/ ٥٠.

(٤٤) نفسه، ٢/٢٥٤.

(٤٥) نفسه، ٥ / ٥٠.

(٤٦) صحراوي، إبراهيم، السرد العربي القديم الأنواع و الوظائف و البنيات، منشورا ت الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ٥٢- ٥٧.

(٤٧) العسقلاني، الحافظ ابن حجر(٨٥٢هـ)، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق، تحقيق، عبد العزيز بن عبدالله بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ٣٨٤/١١. و يُنظر، يونس، سابق، ١١٤.

(٤٨) البخاري، السابق، ٨/ ١٨٢.

(٤٩) نفسه، ١/٧٠، ٢٦٥، ٧/ ١٥٩. و قد أدّت أخبار قصيرة أخرى وظيفة سردية أيضا، في الحديث التشبيهي، لبراعة اختيار الرسول الكريم كلماته، نحو قوله:(إن الإيمان ليأرزُ إلى المدينة كما تأرزُ الحيّة إلى جُحرها.)، نفسه، ٢٥/٣، و يأزر فعل ذو دلالات

حركية تمثل صورة مثيرة، فأرز يأرز أُروزا: تقبّض و تجمّع و ثبُت، و الأرز أن تدخل الحيّة جُحرها على ذنبها، فآخر ما يبقى منها رأسها فيدخل بعد، ، تأزر الحيّة على هذه الصفة إذا كانت خائفة، إذا كانت آمنة فهي تبدأ برأسها فتُدخلُه، وهذا هو الانجحار. يُنظر، ابن منظور، سابق، ١/ ٨٥.

(٥٠) الصبّاغ، د.محمد، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ٤٩٩.

(٥١) البخاري، السابق، ٦/ ٣٣٨.

(٥٢) نفسه، ٤/ ٣١١-٣١٢.

(٥٣) نفسه، ٨/ ٨١. و سني يوسف، أو سنو يوسف، يُضرب بها المثل في القحط و الشدة. يُنظر، الثعالبي، أبو منصور (٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المُضاف و المنسوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ١/٥٠.

(٥٤) نفسه، ٢٨٩/١. و صواحب يوسف: (يُقال للنساء عند شكايتهن أو ذمّ أخلاقهن.)، الثعالبي، السابق، ١/ ٢٩٥.

(٥٥) نفسه، ١/ ١٨٨.

(٥٦) نفسه، ٧/ ٥٧.

(٥٧) نفسه، ٣ / ٣٤٠.

(٥٨) نفسه، ١ / ٢٢٤.

(٥٩) نفسه، ٨/ ١٣٩.

(٦٠) نفسه، ٨/ ٨١.

(٦١) نفسه، ٤/ ٩٧.

(٦٢) نفسه، ٩/ ١١٥.

(٦٣) نفسه، ٨/ ١٦٢.

(٦٤) نفسه، ٧/ ٣٠.

(٦٥) نفسه، ٥/ ٤٥.

(٦٦) نفسه، ٥/ ١١٥. كرشي و عيبتي، أي، خاصّتي و موضع سري.يُنظر، ابن منظور، سابق، ١٠ / ٣٤٧. و يُنظر، نفسه، ١٣ / ٥٠.

(٦٧) نفسه، ٤/ ٦٨.

(٦٨) نفسه، ٤ / ٤٩٩.

(٦٩) نفسه، ٤/ ٧٠.

(٧٠) نفسه، ٨/ ١٨٣.

(٧١) نفسه، ٧ / ٢١٠.و تحات الشيئ أي تناثر، تحاتّت عنه ذنوبُه أي تساقطت، و الحتُّ: القشر، و هو حكّ الورق من الغصن. يُنظر، ابن منظور، سابق، ٤/ ٢٧، ٢٨.

(٧٢) نفسه، ٨ / ١٨٢.

(٧٣) القزويني، سابق، ١٦٣.

(٧٤) الجرجاني، سابق، ٧٠.

(٧٥) البخاري، السابق، ٧ / ٢٦.

(٧٦) الجرجاني، سابق، ٧٢.

(٧٧) البخاري، السابق، ٤ / ١٨٣.

(٧٨) نفسه، ٨ / ١٨٦ – ١٨٧.

(٧٩) نفسه، ٨ / ٢٧.

(٨٠) نفسه، ١ / ٢٧٩.

(٨١) نفسه، ٤/ ٢٠٧.

(٨٢) نفسه، ٣/ ٢٥.

(٨٣) نفسه، ٣/ ٥٠، ٤/ ٢٠٧، ٥ / ٤٥.

(٨٤) الجرجاني، سابق، ٧٠ – ٧٣، ٤٣١.

(٨٥) البخاري، السابق، ٨ / ١٣.

(٨٦) نفسه، ٥ / ٤٢ – ٤٣.

(٨٧) العسقلاني، سابق، ٦/ ٧٥٤. و يُنظر، مرزوك، سابق، ٣٨.

(٨٨) البخاري، السابق، ٢ / ٢١٢، ٤ / ٢٠٧، ٦ / ١٥٩، ٣٣٩.

(٨٩) نفسه، ٤ /٢٤٨.

(٩٠) نفسه، ٣ / ٢٧٨. و يُنظر، نفسه، ٣/ ١٣٢، ٤ / ٢٦٨، ٥ / ١١٥، صور متنافرة أخرى.٦٨